مكتبة المقتطف

أصول النقد الأدبي

أليف الاستاذ أحمد الشايب مدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول بالاسكندرية
٣١٢ ص من القطع الكبير ٢٥ في ١٧½ — الاسكندرية ١٩٤٠ — الثمن ٥ : قرشاً مصرياً

وهذا كتاب جديد يخرجه الاستاذ الشايب مدرس اللغة العربية وتاريخ آدابها بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول بالاسكندرية، وهو يضم بين دفتيه محاضرات النقد الأدبي التي القاها مؤلفها على طلبته في الصف الاول. ثم جمعها في هذا الكتاب لتكون هي، وتلك الفصول البلاغية التي نشرها — في العام الماضي بعنوان «الأسلوب» — مقدمة لدروس الأدب العربي، يسترشد بها الطلاب حين يحللهم على بحثها في الصف الثاني في السنة القادمة. فالكتاب من هذا مدرسي غير أن فائدته تتجاوز في الواقع دائرة صلة كلية الآداب بالاسكندرية الى جميع المشتغلين بالأدب في العالم العربي وذلك من حيث أنها تعرض النقد الأدبي كفن له اصول علمية مضبوطة وقواعد أدبية منظمة. وهذا الكتاب يعتبر الاول من نوعه وفي موضوعه باللغة العربية إذ استثنينا تلك الكتب القديمة التي تناثرت فيها القضايا والآراء النقدية بلا انتظام كطبقات الشعراء لابن سلام والشعر والشعراء لابن قتيبة والمثل السائر لابن الاثير وأسرار البلاغة للجرجاني والعمدة لابن رشيق وطبقات الشعراء لابن المعتز وبعض المؤلفات الحديثة التي تناولتها المطالعات النقدية والتي جاء فيها ذكر بعض قواعد النقد الأدبي وأصوله عرضاً كمقدمة احمد ضيف لمدرس بلاغة العرب وبعض فصول الزيات وطه حسين والعقاد وزكي مبارك وأمين الخولي وشوقي ضيف. وحقيقة أن اللغة العربية قد تعرف قبل هذا الكتاب مؤلفاً شاملاً يجمع القضايا والآراء النقدية الواردة في كتب النقد العربية للأصول النقدية الحديثة والقواعد الفنية المنظمة التي توضع عليها أئمة النقد من الغربيين، وأحمد الشايب في

(١) مقدمة مهذب رحلة ابن بطوطة لاحمد الموسوي بك وعبد الحميد يونس بك

كتابه هذا لا يدعي أنهُ فتح فتحاً جديداً ولا سدّ نقصاً قديماً . وانما هو متواضع الى أقصى حدود التواضع العلمي . فيقول : انهُ بكتابه لم يفعل اكثر من أن قام بدعوة صادقة للنقد الفني المنظم . هذا والاستاذ الشايب صاحب نظرية في الأدب العربي والنقد الأدبي لا يطمئن الى المقاييس النقدية الشائعة في الآداب الاجنبية . ولما كان النقد عنده وليد الأدب لا العكس ، فانك تجد المبادىء النقدية الاجنبية تحولت في يده الى صورة تتكافأ وطبيعة الأدب العربي وتبدو كأنها مشتقة من خصائصه وماهيته . وهذه ظاهرة تلمسها بوضوح في معظم مطالعات الكتاب ومن هنا يجب عدم النظر اليها في ضوء طبيعة الآداب الفرنجية وخصائصها .

في هذا المؤلف يتناول الاستاذ الشايب بالبحث الأدب من حيث هو ، ومن حيث العوامل المؤثرة فيه ، ومن حيث وظيفته في الحياة ، ومن حيث صلاته بالعلم والفن ويتدرّج من ذلك الى كيفية دراسة الأدب وهي مفتاح النقد الأدبي . وفي هذا القسم من المطالعات والآراء ما يستحق وقفة للتدبر وامعان النظر خصوصاً ما يتعلق بالادب من حيث هو ومن حيث مدلوله اللغوي والاصطلاحي . وقد مال في بحثه هذا مع الطريقة التقليدية في دراسة تاريخ اللغة دون ان يفطن الى ان القاعدة «الفيلولوجية» في دراسة تاريخ لفظة تبدأ من عهد تسجيلها ومن هنا لا معنى للنظر في النصوص التي ورد فيها لفظة الأدب والتي تنسب الى الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الاموي ، فجميعها روايات لم تدوّن في حينها . ومن هنا لا يمكن الركون اليها الا بالجملة من حيث الدلالة على المعاني التي كانت تتجاذبها قبل فترة التدوين . وهي في أواخر القرن الثاني للهجرة في لغة العرب . ومن هنا تكل الآراء التي تقال في صدد منشأ لفظ الأدب ظنية لا تفي عن الحقيقة شيئاً . ومجموعة النصوص المنسوبة الى الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الاموي والتي جاء فيها لفظة أدب تدل على ان هذه اللفظة كان يتنازعها الجانبان الحسي والمعنوي الحسي من حيث يدل على المعنى الخلقي ، والمعنوي من حيث يدل على المعنى التثقيفي . فالكلام المنسوب الى النمان بن المنذر وعلقمة بن علاثة مما يدل على المعنى التثقيفي وفي الكلام المنسوب الى علي بن أبي طالب والرسول ما يدل على المعنى الخلقي (الكتاب ص ٤ ، ٥) ولعل هذين الجانبين كانا يتنازعان عقل كتّاب العرب في أواخر القرن الثاني حتى عهد الجاحظ كلام الجاهليين وأهل صدر الاسلام . وهذا يؤيد هذا الظن ان التدرج الطبيعي الحسي فالمعنوي مفقود في ترتيب الزمني لهذه الروايات والنصوص

ولا شك أن لفظ «أدب» لو كان معروفاً للجاهلية وصدر الاسلام لورد في القرآن . ولا عبرة بعد ذلك بالقول بأن القرآن لم يستوعب الفاظ اللهجة القرشية واللهجات العربية جميعها لأن وجود معنى الأدب عند العرب وذكر القرآن له في أكثر من موضع ومكان ، بدون اتخاذ

لفظة الأدب معيبة عنه يميل ذ الى القول بأنهُ لم يكن معروفاً عند العرب. فحكم الاستاذ الشايب بأن التاريخ القديم لفظ أدب مجهول جهلاً عجيباً (الكتاب ص٣) رأي صائب ويمكن ان يضاف اليهِ ان هذا يحمل على عدم معرفة العرب به . أما قول المؤلف ان الكلمة عربية لأنها لم ترد في اخواتها بقية اللغات السامية (الكتاب ص٣ س ١١ / ١٣) والاستدلال بذلك على انها اصيلة وليست بالدخيلة ، فالواقع انهُ رأي عجيب . لأن الحكم بأن مادة لفظ أصيلة في لغة من اللغات انما تقوم على اساس ورود مادتها في اخوات هذه اللغة ، التي تشترك معها في جذع واحد. وعلى هذا فان صحَّ رأي المؤلف ان لفظة أدب لم ترد في غير العربية ، فهذا يكون قطعاً دليلاً على انها دخيلة وليست عربية . غير ننا نعرف ان مراد فرج صاحب ملتقى النهرين يذكر لنا في معجمه م ١ ص ١٢٠ / ١٢٢ : ان لفظ أدب ورد في العبرية بصيغة « هئديب » بمعنى أدَّب ومنهُ «الأديب» في صموئيل الاول — اصحاح ثان فقرة ٣٣ بمعنى التأديب . وعلى هذا فالرأي الشائع عند جمهرة المتأدبين بأن لفظ ادب لم يرد في غير العربية من اللغات السامية خطأ ، يجب تصحيحه

الاَّ ان ورود لفظة « أدب » في العبرية لا يقطع باصالتها في الجذع السامي . لأن تاريخها العبري مبهم . وهناك ما يميل بنا الى اعتبارها دخيلة على العبرية . فاذا لاحظنا ان اللفظة أول ما تدل تفيد الدعوة الى الولائم . فان الأدب بمعنى الوليمة — كما قال يعقوب صروف — مشتقة من Edlata أي ما يؤكل وهو من Adla بمعنى أكل و Edoma بمعنى أدام . والكلمات الثلاث مشتقة من مصدر واحد بمعنى الاكل ، ودخول اللام لازم ، والفعل أبولي قديم (المقتطف ٦٣ : ٦٨ / ٧٠) ومما يؤيد هذا الظن ما أورده الاب انستاس ماري الكرملي عن ان مصدر أدب وعدف وأدم وغدء وغدى وغذى يونانية الاصل (المقتطف ٦٣ : ٢٨٣ / ٢٨٥) . فاذا صح هذا فتكون الكلمة تسربت الى لغة العبريين في فترة انتشار اللغة اليونانية في فلسطين . وبهذا فان الانتشار يرجع الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو التاريخ الذي كتب فيه سفر صموئيل الاول كما يرجح ذلك الاب لنجرن في تاريخ العهد القديم . ويكون تسربها الى العربية عن طريق الترجمين في القرن الثاني للهجرة . حيث استعملت في حقبة معان تتفق مع جملة المعاني التي دلت عليها اليونانية وفي هذا ما يعقد من مشكل تاريخ لفظة أدب

***

اما فرض البعض ان لفظة أدب دخلت العربية من لغة اهل شوص الذين عمروا جنوبي العراق وأخذها عنهم الساميون ، فيقف في سبيل قبوله ان اللفظة لا أثر لها في لغة الكلدانيين

وهم الذين خلفوا ثمر في مدنيتهم وحضارتهم وثقافتهم ، كما ان لا وجود له في لغة الاراميين وهم أقرب من العرب الى السريين ، وكذلك لا اثر له في لغة حمير ، والحميريون هم اخلاف العرب الذين هاجروا من جنوبي العراق وحطوا في اليمن . وأما رأي بيتو ، فينقضه التحليل حيث يأتي لاثبات قلب أدب من دأب بأشياء تامة ، لان بئر وآبار ورئم وآرام تخالف عن دأب وآداب في انهُ لم يشتق من آبار وآرام مفردان تكون الصلة بينهما وبين بئر ورئم كالصلة بين ادب ودأب في الحروف والمعنى ؛ واذن فلا بدَّ لنا من رفض رأيه . والمؤلف وهو يلخص الاقوال في تاريخ لفظ ادب لم يتخذ قاعدة علمية يناقش على اساسها هذه الاقوال المتضاربة بل وقف من جملتها موقف الحيرة ، وساقها جميعها سوقاً واحداً ورجح عليها رأيه ، بدون ان يبين اوجه الترجيح . ومن هنا جاء الاضطراب في تناول تاريخ لفظ ادب . وهل في الامكان تدارك ذلك في مقدمة الادب الجاهلي الذي بعده للاخراج هذه الايام

فاذا غضضنا النظر عن الاضطراب الذي في تناول تاريخ لفظ ادب ، وجدنا ان المؤلف يتدرَّج من بحثه هذا الى تحديد مفهوم الادب اصطلاحيًّا فيستعرض عدة آراء في تحديده . غير انهُ لا يقف عندها ، بل يتعداها الى النظر في النصوص الادبية ليتعرف طبيعة الادب منها . وهو يرى ان الخاصة الاولى للادب صفة الخلود Permanence التي تحفظ النص الادبي فيبقى بمرور الزمن . وهو يرى ان الصفة تجيء في النص الادبي لانهُ يصور شخصية كاتبه فكأن الشخصية هي الاساس — عنده — في صبغ النص بالطابع الادبي . وتصوير النص لشخصية كاتبه يجيء من ان النص الادبي يعتمد على عنصر الانفعال Emotion . وهكذا عرف الادب بأنه ما يشتمل على بث الانفعال في نفس القارىء

على انه يعترض على هذا الكلام ان هنالك نقلة من القول بأن النص الادبي يعتمد على الانفعال ، وهو شيء يتصل بداءة النص ، الى القول بأن النص الادبي قادر على بث الانفعال وهذه مسألة خارجة عن النص تتصل بنفس القارىء . والحقيقة ان هنالك من النصوص الادبية ما لا يثير انفعالاً في نفس قارئها الا اذا كان من نوع خاص . فمثلاً مسرحيات شكسبير لا تثير في نفس قارىء عادي ، يقرأ قصيدة لمتنبي او لشريف الرضي لجمعه بين الفخر والحماسة — عندي — ان يعتمد في تعريف النص الادبي على عنصر الشخصية في تكوين الادب وفي آثاره الانفعال في نفس القارىء ، لانها شيء ذاتي صرف . وقد تدرَّج المؤلف من بحثه في الادب الى صلة الادب بالحياة وانتهى منها الى الاعتراف برأي ماثيو ارنولد في ان الادب نقد الحياة . غير ان الانتقال من دائرة الانفعالات الى نقد الحياة منقطع عند المؤلف . والحقيقة

ان يقال ان الادب هو نفحة من الحياة مصورة بشخصية كاتبها ، وتعتمد على عنصر الاتقان في تلوينها بشخصية الكاتب . وبيان هذا يجده في ذهن كتابنا عن خليل مطران شاعر العربية الابداعي . وعلى هذا يمكن تحديد الادب بأنه كل ما ينعكس على صفحة الزمن من جمرة معبرة عن تذوقها الخاص للحياة .

ومسألة نقل الاتقان من نفس المنشىء الى نفس القارىء متسلطة على ذهن المؤلف ، الى درجة انه يرى النص الادبي قادراً على ان يبعث في نفوسنا عواطف مشابهة لما ثار في نفس منشئه . والحق ان هذا التشابه موضع نظر ، لان شاعر الخضاء قد تكون متسلطة على نفس المنشىء فتثير عند القارىء الدهشة والرحمة . فليس شرط الاثارة التشابه في الادب

اما قسم النقد الادبي من الكتاب فللمؤلف اكثر توفيقاً فيه حيث تناول الموضوع من أصوله وقواعده تناولاً عاماً صحيحاً وهذا القسم يندرج فيه المؤلف من بحث ماهية النقد الادبي الى دراسة الذوق الادبي ، والذي عندي ان المؤلف نحى الاشارة الى ان الذوق ينقسم الى طبيعي ومكتسب . فالطبيعي ما هو شخصي والمكتسب ما يتحصل عليه المرء من ارتياضه في كلام الغير فلا يمكن الانسان بواسطة مرونته في كلام ابن الرومي ان يتحصل على جانب من ذوقه يتمكن على أساسه من التفريق بين ما لابن الرومي وما ليس له . وهذا الذوق غير الذوق الشخصي . وبعد بحث الذوق يدرس صلة النقد بالناقد ومقام النقد بين العلم والفن وظيفة النقد ويندرج من كل ذلك الى بحث المقاييس النقدية من حيث الغائية والموضوعية ويدرس العناصر المكونة لنص الادبي والتي تتداخل في تكوينها من خيال وفكرة وعاطفة وصورة . ويخلص من كل هذا الى بحث في الشعر وطبيعته ثم الى درس النقد واقسامه ، فالقصة والاقصوصة . والكلام عنها مجمل ، والدراسة يقتضيها الكلام عن المسرحيات والتمثيل . ولا شك في ان الذي وقف المؤلف عن دراسة مقاييس القصة والاقصوصة والمسرحية الفنية هو عدم وجود هذه الضروب في آداب العرب . وكما قدمنا ان المؤلف يضع قواعده النقدية مشتقة من طبيعة الادب ومن هنا لا يجد حاجة ماسة الى الكلام عن القصة الفنية وعن المسرحية فنياً

وبعد فهذا كتاب جميل بالنظر ولا يمكن ان يصنع عنه أدب مشتغل بالادب او بالنقد الادبي وحبذا لو ان المؤلف وضع في هذا الكتاب خير محاولة في لغة العرب لوضع قواعد منتظمة للنقد الادبي وهو من هذا العمل جدير بالثناء عليه والاعانة به

الاسكندرية اسماعيل أحمد أدهم

دستور في الميزان

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد — صفحاته ٢٢٦ قطع المقتطف
مطبعة حجازي في القاهرة — ثمنه ١٢ قرشاً

« إن الخصم الصادق في قضية الطغيان والحرية الانسانية أعدل من القاضي الذي لا يميل هنا او هناك في هذه القضية». بهذه العبارة التي يختتم بها المؤلف مقدمتهُ يلخص لبابَ المهمة الواقعة على رجال الفكر في أزمات الحضارة . وهي المهمة التي خصصتْ لها مقال المقتطف الاول في هذا الجزء . فالرجال الذين يؤمنون بكرامة الانسان لا يسعهم ان يقفوا متفرجين على هذا الكفاح ، لان الفكر الانساني لا يزدهر الا اذا عاش صاحبهُ في جوٍّ من الحرية وأتيح لهُ ان يمثل نتاج تفكيره الى غيره نقلاً حرًّا . فرجل الفكر يجب ان يكافح ضد الحرب وضد الطغيان لا ان يقف عجزاً متردداً ثم يزعم أنهُ قاضٍ مجرَّد عن الهوى . واذا كان لا بدَّ من الحرب سبيلاً لمكافحة الطغيان فلتكن ولتكشف لها الصدور على حد قول الاستاذ ألان نفز استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا

***

هذا الكتاب سيرة رجل وسيرة قضية . وسير الرجال تُكتب عادةً بأحد أسلوبين أوهما تقصي جميع الحقائق في حياة المترجم لهُ ثم سبكها في فصول متوالية تساير حياتهُ واعمالهُ . وثانيهما تقصي الحقائق جميعاً ثم تقليب النظر فيها لفهم البواعث النفسية التي من وراءها ، ثم رسم صورة للمترجم لهُ أساسها من الحقائق نفسها وفهم تفسيرها كما يريد المؤلف . فالاول أسلوب المؤرخ والثاني أسلوب الكاتب المفكر . في الاول يتجرد المؤرخ عن نفسه على قدر المستطاع . وفي الثاني ينظر الكاتب الى موضوع كتابه من خلال مزاجه الخاص ونهجه لنواحي الحياة ، وأشهر كتب السير في العصر الحديث كان على النمط الثاني مثل مؤلفات ستراتشي الانكليزي ومورواه الفرنسي وزفيج الالماني وغيرهم عشرات وهي أبعد ان تكون من كتاب المؤرخين

وكتاب الاستاذ العقاد في الحر هنتر ليس كغيره سيرة للمعنى المتواضع عليه . لكنه قصد الى الحقيقة عن سيرة الحر هنتر ووصف حياتهِ وخفيها أقرب الى الاسلوب الثاني او نهجه ضميمة ، أي ان المؤلف طالع كل المعروف عن حياة الحر هنتر او جانباً كبيراً منه وقلب النظر في الحوادث والحقائق وحاول ان يردها الى أصول نفسية مبينا كيف تأثرت حياتهُ بوراثة واطوار النفس وطبائع الاجتماع الذي نشأ فيه هنتر . وخلاصة رأيه في هذه الناحية — مع اعترافه بما تمَّ على يديه — يخالف رأي الكثيرين مما يحسبونهُ من أعاظم رجال العصر . فمقياس العظمة في رأي المؤلف ليس تعظيم « الرجل بمقدار السيطرة التي في يديه او بمقدار الضجة

التي يثيرها من حوله ؟ . وعلى هذا الأساس عالج الاستاذ العقاد الظروف التي أفضت الى رفع هتلر الى الذروة — وفي هذه الناحية نظرات صادقة في مساهمة فرساي وشكاوى الالمانيين منها ومشكلات المستعمرات ودائرة رفاهة العيش او المدى الحيوي — ثم الافكار التي جعلوا اساساً خطتهم الداخلية والخارجية ومن استمدوها من الكتاب والفلاسفة ثم تحليل نفسه وطوائفها من ذهنية وخلقية. وفي جميع هذه الفصول من النظر الصائب في طبائع الرجال ومشكلات الاجتماع ما يجعلها جديرة بالعناية من ناحية الثقافة وحدها لو لم يكن موضوعها من اهم ما يجب معالجته والعناية به في هذه المحنة التي يجتازها العالم الآن

وتحليل شخصية الطرف هتلر وسياسته لا يمكن ان ينفصل عما دعاه الاستاذ العقاد « قضية اليوم وقضية الغد » وهي « قضية الطغيان والحرية الانسانية او قضية الايمان بالسلاح وحده والايمان بشيء في الحياة والحضارة غير السلاح » ... « هل أصاب او أخطأ في شعاره بحرب دون غيرها ؟ قل انه أصاب او قل انه اخطأ فليس هذا مقطع القول الآن ، وانما مقطع القول ان الذي يضمره او يتمنى له النصر يخطىء كل الخطأ ولا يصيب في حقه ولا في حق العالم أي صواب » ... ثم « هنا مفترق الطريقين في قضية اليوم . طريق الايمان بالقوة الحيوانية يبقى اليوم كما كانت بالامس ويبقى الى آخر الزمان كما كانت في اول الزمان ، فلا تبديل ولا رجاء في التبديل ولا خير فيه لو كان الى تحقيقه سبيل وسيسود القوي العالم ويدعي ان سعوده دائم غير ممنوع ولا عبرة بما يعقبه من خلاف للذي عهدنا من الايام والاحلام ... وطريق الايمان بشريعة في الحياة غير شريعة القوة الحيوانية وهي شريعة الحق والانصاف والامل في تقدم الانسان الى سنن في المعاملات بين الامم والافراد وراء سنة الكم والغلبة » . والطريق الثاني هو طريق الصغار طبعاً

وفي ذلك في الكتاب فصول ممتعة حقاً في خصائص الديمقراطية والفوارق بينها وبين النازية في الأخلاق وطريقة حل المشكلات والنظر الى الحرية والصحة

* * *

« قضية اليوم وقضية الغد » للاستاذ العقاد قد أصبح من الضروري وقتئذ أن يعرف كل انسان ما كان من اليوم حلماً من الأحلام او خاطراً من خواطر التخيل . وهل كان لنا ان نتوقع أن تقوم على اساس غير اساس الاشتراك في العدوان او الاشتراك في دفع العدوان ؟ . فما في هذه الأسس ؟ أن الصفحات ٢٠٠ الى ٢٠٩ تحتوي نظريات لمحات خاطفة من مبادئ

وضع المؤلف الطرف من حيث هو زعيم والقضية التي يمثلها من الناحية فسلها بمستقبل الانسان في ميزان العقل والتاريخ والاجتماع وخرج من الموازنة بأن للمستقبل ليس له ولا القضية التي يمثلها

الحلل السندسية
في الاخبار والآثار الأندلسية

للامير شكيب أرسلان — عدد صفحاته ٥٠٠ غير الفهارس — مطبعة الهلال بالقاهرة

ظهر الجزء الثالث من كتاب الحلل السندسية وهو كسابقيه فيض من علم الأمير واحاطته بالتاريخ الأسلامي وحسن تصويره وعلو مقامه البياني مما لا حاجة الى الاشارة اليه. فكل ذلك مشهور غير منكور

والجزء الذي ظهر اليوم هو ثالث من عشرة أجزاء نرجو أن يفسح الله في عمر الأمير حتى ينجز ما وعد ويحقق ما قصد. وتلك أمنية نرفعها بعد الله الى الأمير علها تصادف في السماء دعاء وتلقى عند ذوي القضاء

ويشمل هذا الجزء الكلام على مملكتين من الأندلس هما بنسية وملحقاتها، ومرسية وتوابعها. وكلام الأمير عن الأندلس بوجه عام يتصل بالجغرافية بأقسامها، وينتمي الى الأدب والتراجم، وينتهي الى الحكاية والتاريخ. وينخلل ذلك كله نظرات حاذقة وتشعب من أصل، وتعليق على فرع واستطراد ذكي يدل على اطلاع محيط، وممرفة شاملة، واحاطة كاملة

لما دفع الي الصديق محرر المقتطف الفاضل هذا الجزء لأقوم فيه بما قمت به في أخواته من مضاهاة الجزء واملاء ما بين دفتيه. ولكني أخذت النفس حتى قراءته ورددتها على الناديء من الرغم من كثرة الشواغل واختلال الأعصاب من كثرة الأحداث وروعة أنبائه في حرب جبارة شعواء نسأل الله الخلاص منها. ووالله لقد كان كل فصل أفرغ منه يُخيل لي الى فصل نفسي أنبي. حتى تمت لي الفائدة من مطالعة الكتاب برمته

وفي قلم الأمير من السحر ما كان في عصا موسى. فاذا ما انتهى الحلى الى ذكر أورده عليه شعاب مكرة الحوافل رأيته يلتقب كل أفق ويزيد كل حق. وما من يوم تقوم القيامة الا وله ولكنه قلم الأديب الأدبي الناقد. فاذا قال يأتوت في معجم البلدان أو القلقشندي في صبح الأعشى قال الأمير شكيب! ليست نقلت من عمل لاروند فالذي يخيل الي أنه خطر لي فسح فبدلاً من أن يكتب من عمل دائرة كتب الناسخ من عمل لاروند

ويصحح الأمير أخطاء المؤرخين من الفرنج. ويرجح الصحيح من الأقوال التي يصحح بها أخطاء المؤلفين من العرب. فقد ذكر مؤلف (تاريخ مرسية) وهو أفرنجي أن ولاية تدمير الأندلسية مسماة باسم تدمير السورية فيصحح الأمير ذلك بقوله والذي نعلمه أنهم سموا ناحية أوريوله أو أوريولة بتدمير اسم الأمير الذي كان يليها عند ما جاء العرب)

وكنا نود أن يحقق الأمير ما لديه من مراجع واسعة اسم قائل القصيدة التي أولها

فادتك أندلس فلبٌّ فداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها

والتي لم يذكر في فتح الشبيب اسم قاتلها . فان من يهم بشر قصيدة في رثاء الأندلس لأحد اخواتنا المسيحيين اللبنانيين المعاصرين لا يعز عليه أن يضيف اسم شاعر عربي قديم ممن بكوا هذا الفردوس المفقود

ويمتاز كتاب الأمير الجليل علاوة على ما فيه من علم وفضل وأدب وتاريخ وتحقيق بأن فيه صوراً جميلة للاندلس المعاصرة . فكأن عين الأمير — سلمها الله — تفوق في الدقة وابراز التفاصيل وصدق النقل ما في السوق من عدسات « كوداك » و « شنيدر » وما اليها . . . فقد رأى سكوه الأندلس رأي العين وتنقل بين ربوعها ، واختار سهلها وحزنها ، واستنّ جوادها وطرقها ، وأوى فيها الى وارف من الظل ، ودانٍ من القطوف ، وشديد من الأركان ، وجمع الى وصفها القديم وصفها الحديث . وكتابه وصف للصورتين ، وجمع الحسنيين . فهو بغير شك روضة من رياض الأدب الرفيع تصف روضة من رياض الدنيا كانت للاسلام ؛ ثم انتهت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

لكل شيء اذا ما تمّ نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرَّه زمنٌ ساءته أزمان

***

لا تتسع هذه الكلمة لايراد كل ما في النفس عن هذا الكتاب النفيس ، الاّ اني أنقل هنا بعض عبارات الأمير في أثناء حديثه عن قرطاجنة . وما اختياري لهذه العبارات دون غيرها لمزية فضل على ما سواها . فالكتاب كله عال عند الأمير . قال حفظهُ الله

« وبعد نحو ساعة من مسيرنا دخلنا في أرض ذات آكام قاحلة وأودية يابسة . ثم لم نزل هذه الآكام تصاحبنا والبحر من جهة أخرى يصاقبنا حتى رجعت الأشجار تظهر شيئاً فشيئاً لاسيما الخروب والزيتون والتوت . . . قال سعد كلاه : « ثم وصلنا الى محطة بلدة اسمها غافة قول أصلها قافة . وهو محرفة لا يعلم معناه ثم مررنا وراء الجبل المشرف على البحر وأخذت الأرض حولنا تلين الى حمرة لكن الخروب لا يزال كثيراً »

لاشك أن هذا الأسلوب في تقاسيم البلدان وأوصافها وجغرافيتها هو نوع من الأدب العالي الذي اشتهر به بيان الأمير . واذا كان في بعض كتب الرحلات — كرحلة ابن بطوطة مثلاً — بعض الضعف في التعبير وبعض التكلف في التسجع وخاصة المقدمة والخاتمة ، وكثير من السهولة التي تقربها من انشاء العامة . فان رحلة ابن أرسلان هي المثل الأعلى في البلاغة والانشاء والله يؤتي فضله من يشاء ، والله واسع عليم القاهرة محمد عبد الغني حسن

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة

تأليف ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني — القسم الاول المجلد الاول — اخرج باشراف كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول — نشره لجنة التأليف والترجمة والنشر

وصف الدكتور طه حسين بك هذا الكتاب في مقدمته بقوله « انهُ اصل من اصول الأدب العربي الاندلسي ومرجع من اهم مراجعه دفع صاحبهُ الى تأليفه امران ، احدهما حبهُ لوطنه الاندلس وحرصهُ على ان يثبت لها تفوقها في الأدب والعلم وان يثبت ان هذا التفوق لمعاصريه خاصة لكثرة ما رأى من افتتان الناس من اهل افقه بالشرق واديائه وعلمائه واعراضهم عن الاندلس وما انتجت من أدب وعلم . والثاني حرصهُ على تقليد الثعالبي في كتاب اليتيمة الذي صوَّر فيه ادب معاصريه من الشعراء والكتاب . . . »

وبعد ما تتبع الدكتور طه وجوه الشبه بين الذخيرة واليتيمة وأسلوب المؤلفين بيَّن الباعث الذي حمل كلية الآداب على نشر هذا الكتاب قال : « رأى قسم اللغة العربية ان النشاط الأدبي في مصر الحديثة لم يشمل الأدب العربي في الاندلس ولم يسع اليهِ الا في تردد واستحياء فأراد ان يغير من هذه الحال وان يمد نشاط الحياة الادبية الى هذه الناحية التي لم يلفها . ورأى ان هذا الكتاب قد جمع طائفة ضخمة من ادب الاندلس شعراً ونثراً وتاريخاً . فرأى بين مجموعة صالحة من النصوص الادبية التي تصلح للدرس والتي سهلوا ان درست ان تجلي وجهاً او وجوهاً من الأدب العربي في بعض بيئاته وفي بعض عصوره ، فأقبل على نشره واذاعته رجاء ان يكون ذلك سبيلاً الى درسه وتعمقه واستخراج مايمكنُ من ثمرات النفع . »

ويعترف الدكتور طه بأن الفضل في تمكين القسم من نشر الكتاب يعود الى المستشرق الفرنسي الاستاذ ليفي بروفنصال . فقد أنفق جهداً عظيماً في البحث عن هذا الكتاب وجمع أجزائه وكان يهمُّ بنشره في ليدن عندما اتصل الحديث بين الدكتور طه وبينهُ عرضي ان يعدل عن مدينة ليدن الى مدينة القاهرة وعن الانفراد بنشر الكتاب الى المشاركة فيهِ »

وقد عاون المستشرق الفرنسيُّ في عمله طائفة من شباب الجامعة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب وهم محمد عبده عزام وخليل عساكر وبحاطره الشافعي فيأخذ النص فيطبع بعد عرضه ما اجتمع لهم من النسخ وتقويم ما أعوجَّ فيها وتسوى على النُّساخ . وكانت لجنة من الجامعة قوامها أحمد أمين، ومصطفى عبد الرازق، وعبد الحميد العبادي، وعبد الوهاب عزام، وليفي بروفنصال وطه حسين أن تقرأ ماهيأت اللجنة الأولى من النص « يقرؤهُ كلٌّ منهم منفرداً ثم يقرأونهُ مجتمعين » . وقد اضطرَّ الاستاذ بروفنصال الى العودة الى عمله في الجزائر وفرنسا وتولى الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق الوزارة فانقطع عن عمل اللجنة فمضى الباقون في هذا العمل النفيس

إذا استثنينا بحاضره الشافعي فانهُ انقطع فترة قام في خلالها برحلة قصيرة فأضيف الى لجنة الأولى شبان من شباب القسم المتخرجين فيه وهم عبد العزيز الاهواني وعبد القادر القط

وأنجزت مجمعة التأليف والترجمة والنشر طبع هذا الخبر على أوفى ما يكون اتقاناً جاء في ٤١٧ صفحة كبيرة مضبوطة بالشكل وفي هوامشها الفراءات المختلفة المتفرعة من مخطوطات التي اعتمدت لدى المخرجين . والحق يقال انهُ ذخيرة من الأدب النفيس

تاريخ الاندلس

في عهد المرابطين والموحدين — لأبن الكردبوس المؤرخ الاندلسي يوسف اشباخ — ترجمه وعلق عليه الاستاذ محمد عبدالله عنان — طبع بمجلة لجنة التأليف والترجمة والنشر والقادرة — حقوق طبعه محفوظة للمعهد العلمي بمطوان

هذا الكتاب من امهات الكتب التي ألفها علماء الفرنجة في تاريخ الاندلس ومؤلفهُ المؤرخ الالماني يوسف اشباخ ينتمي الى هذه المدرسة التي عنيت منذ اوائل القرن التاسع عشر بدراسة التاريخ الاندلسي على ضوء المصادر العربية . وقد ولد في هكست من اعمال فستفاليا في سنة ١٨٠١ وتولى التدريس في جامعة فرانكفورت ثم في جامعة بون ودرس العربية على يد دوزي وعني بدراسة تاريخ اسبانيا المسلمة عناية خاصة ووضع في ذلك مؤلفين وهما « تاريخ العرب في اسبانيا » في مجلدين وهو يتناول تاريخ الاندلس منذ الفتح حتى سقوط الدولة الاموية وقيام دولة الطوائف . والثاني تاريخ اسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين في مجلدين وهو يتضمن تاريخ الاندلس وتاريخ اسبانيا بوجه عام منذ قيام دول الطوائف حتى انحلال دولة الموحدين وتاريخ المغرب ايضاً في ظل دولتي المرابطين والموحدين .

والكتاب الذي بين ايدينا هو القسم الاول من هذا المؤلف النفيس وهو يتضمن تاريخ الاندلس والمغرب في عهد المرابطين وقيام دولة الموحدين وتاريخ انتفاضة وثبات الاسبانية النصرانية في تلك الفترة

ولا يخفى ان الاستاذ محمد عبد الله عنان من عمدتنا المعاصرين الذين عنوا بشتى نواحي التاريخ الاسلامي في مختلف عصوره وقد عكف على ترجمة هذا المؤلف اعظم عكوف فبذل عليه جهداً كبيراً يستدعي الى الثقافة والرجاحة في التاريخ العربي . وقد تبين مما تقدم من وصف الكتاب وتحليله عن مقدمته ومن تواليها ايضاً ان موضوعه قد مضى على صدوره اكثر من مائة عام وانهُ لا يزال محتفظاً بكثير من قيمته فهو يعتمد على المصادر الاسلامية ويتمتع بها انتفاعاً كبيراً بالرغم مما يردُّ فيه احياناً من خطأ او تحريف وقد صحح المترجم هذه الاخطاء واستكمل البحث في تعليقاته . وهو مما يمتاز به في نظرنا هو دراسته المصادر النصرانية الى جانب المصادر الاسلامية وتمحيص الروايات من الجانبين وتقدير وجهات النظر المختلفة . »